العلاقات القرابية للأسرة الحضرية وانعكاساتها الاجتماعية والثقافية في ظل المتغيرات الحديثة

الأستاذ الدكتور: عبد العالي دبلة جامعة، بسكرة، الجزائر

الأستاذة : نتيجة جيماوي ، جامعة، بسكرة، الجزائر

الملخص:

إن واقع العلاقات القرابية اليوم يتميز بتحولات ملموسة على مستوى الأسرة والعائلة والشبكة القرابية ككل، وهى تعد نظاما اجتماعيا له تأثيراته وتأثراته بمختلف المتغيرات التى يعرفها المجتمع ولا سيما الحضري منه، والذي تتباين نسبة وجود العلاقات القرابية فيه حسب تأثير عوامل التغيير الاجتماعى، وعملية التحديث، والإطار التاريخى والثقافي بالمدينة، وسنحاول خلال هذا العرض توضيح واقع وأهمية العلاقات القرابية للأسرة الحضرية وأهم الانعكاساتها الاجتماعية والثقافية بالمدينة.

Résumé:

Aujourd'hui, les relations parentales connaissent des changements concrets au niveau des familles et du réseau parental en général. Celle-ci est considérée comme système social qui a une influence mutuelle dans les différentes variables que connait la société et notamment la société urbaine, où on constate les différences du pourcentage de l'existence des relations parentales selon l'influence des facteurs du changement social, de l'actualisation et cadre historique et culturel de la ville.

En conclusion, nous allons essayer d'éclairer la réalité et l'importance des relations parentales de la famille urbaine et ses répercussions sociales et culturelles dans la ville.

مقدمــة:

تعتبر علاقة القرابة من العلاقات الاجتماعية التي تقوم على ارتباط أسري تحدده ثقافة المجتمع، فهي تختلف من مجتمع إلى آخر تبعا لاختلاف الثقافات واللغات فلكل مجتمع خصوصياته، كما أن العلاقات القرابية قائمة في كل المجتمعات البشرية حيث يقول العلامة "عبد الرحمان ابن خلدون في مقدمته: "... صلة الرحم طبيعي في البشر ..."[1]، وواقع العلاقات القرابية اليوم يتميز بتحولات ملموسة على مستوى الأسرة والعائلة والشبكة القرابية ككل، وهي نظام اجتماعي له تأثيراته بمختلف المتغيرات التي يعرفها المجتمع الحالي ولا سيما مجتمع المدينة الذي تتباين نسبة وجود العلاقات القرابية فيه حسب تأثير عوامل التغير الاجتماعي والإطار التاريخي والثقافي للمدينة.

إن العلاقات الاجتماعية التقليدية الموجودة في الوسط الحضري مدعمة بالروابط القرابية العائلية بالالتزام بالمساعدة بالتضامن والتعاون العائلي والقبلي وهذه العوامل كلها تتميز بالدوام والإصرار في الوسط الحضري رغم كل التغيرات التي عرفها المجتمع الجزائري "فعلى الرغم من التوترات والتناقضات التي نتجت عن التحضر السريع فإن المجتمع الجزائري حافظ على عنصر قوي من تنظيمه والذي يتمثل في علاقات التعاون داخل العائلة"[2] وهذا التعاون العائلي والقبلي يعتبر مثل إصرار ممكن من طرف الجماعة فهو يمثل الأمن الاجتماعي بالمعنى السوسيولوجي والمسند على نظام من الالتزامات المتبادلة وفائدة تبرز تماما في ضمير أعضاء المجموعة العائلية.

وما جعل موضوع القرابة مصب اهتمامنا هو انشغال سوسيولوجي يتعلق بوضعية وواقع علاقة القرابة في المجتمع الحضري وما نجم عنها من انعكاسات مختلفة على بعض جوانب الحياة الاجتماعية للمدينة، لهذا قمنا بتسليط الضوء على مختلف الطروحات والأفكار حول أهمية العلاقات القرابية وطبيعة هذه العلاقات الداخلية للأسرة الحضرية وبعض مظاهرها بالمدينة، أما المفاهيم الأساسية التي يتضمنها هذا الموضوع هي:

1- الأسرة. 2- التحضر. 3-العلاقات القرابية.

1. **مفهوم الأسرة:**

للأسرة عدة تعاريف تختلف باختلاف النظريات التي يزخر بها علم الاجتماع وعلم النفس والأجناس، حيث تعرف "الأسرة على أنها اللبنة الأولى في بناء المجتمع الحديث فهي خليته الأساسية ومحور حركته ولسانه الصريح، فمن خلالها يرى المجتمع أفراده، وكذا يرى الأفراد مجتمعهم، فهي الجسد الموصل أو الوسيط الذي يربط الفرد بالمجتمع، فالفرد يأتي إلى المجتمع ويعيش فيه من خلال الأسرة التي ينتمي إليها"[3]، كما تعرف الأسرة بأنها "مجموعة تتكون من شخصين أو أكثر يرتبطون مع بعضهم البعض برابط الدم أو الزواج أو التبني، ويعيشون حياة مشتركة".[4]

ويرى إيميل دوركايم "أن الأسرة ليست ذلك التجمع الطبيعي في الأبوين وما ينجبانه من أولاده بل إنها مؤسسة اجتماعية تكونت بأسباب اجتماعية ويرتبط أعضائها حقوقيا وخلقيا ببعضهم البعض" [5]، كما يرى "هنري مندراس" "Henri Mendras" أن الأسرة هي "نتاج اجتماعي تعكس صورة المجتمع الذي تظهر وتتطور فيه، حيث إذا كان المجتمع يمتاز بالثبات امتازت هي الأخرى بذلك، أما إذا كان المجتمع مجتمعا متغيرا تغيرت هي الأخرى حسب ظروف ونمط هذا التغيير"[6]، والأسرة قد تكون ممتدة أو نووية، وتعرف الأسرة الممتدة بالأسرة المركبة، حيث تمثل مجموعة من الأسر النووية أو الأسر الصغيرة التي تعيش تحت سقف واحد، "أما الأسرة النووية فهي مكونة من مجموعة من العناصر الأساسية هي الأب، والأم، والأولاد ويقيمون في مسكن واحد"[7]، ورغم وجود تعريفات متباينة للأسرة إلا أنها تركز في أساسها على الحجم وتركيبتها أحيانا، وأدوارها الوظيفية أحيانا أخرى.

2. التحضر:

يعرف التحضر بأنه الانتقال من الحياة الريفية إلى الحياة الحضرية وهذا الانتقال يكون بسبب الهجرة من الريف إلى المدينة، حيث يتعين على الفرد أو الجماعة أن يتكيف بالنظم والقيم السائدة في المدينة، فالحياة في المدينة تمتاز بتعقدها واختصاصها في علاقات إنسانية واجتماعية معينة، كما أن أسلوب حياة الحضر يمتاز بالمصلحة وبعادات وطابع و سلوكيات حضرية. (8)

فالوسط الحضري يختلف عن الوسط الريفي من حيث اعتباره مركز تنظيم اجتماعي واقتصادي وثقافي خاص يخضع لوسائل ضبط اجتماعي رسمي أكثر من الوسط الريفي، والتحضر هو انتشار نظام مواقف واتجاهات وسلوكيات موجودة في جماعة ذات خاصية، وهي مجتمع الحضر، فالمدينة ليست وحدة أو حيز سكاني فقط ولكنها وحدة منتجة لثقافة ذات علاقات اجتماعية وقواعد وأعراف وقيم خاصة ونموذج وتصور متميز.(9)

ويفضل علماء الاجتماع الذين يدرسون المدن استخدام مصطلح المكان الحضري (الوسط الحضري) بوصفه أكثر شمولا لأنه يشير إلى كل من المدن والبلديات، والتحضر يشمل بعدين: "البعد الأول وهو مبني على انتقال السكان بشكل عام من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية، والبعد الثاني مبني على وجود المدن في مواقع جغرافية بعينها" و التحضر يعني تمركز السكان في المدن الذي يؤدي إلى تغيرإجتماعي و ثقافي ،ومنه تدعيم الروح الفردية في العلاقات التي تصبح ثانوية بعد ما كانت أولية في القرية .(10)

3. العلاقات القرابية:

يعرف "راد كليف براون" "Radcliff Brown" العلاقات القرابية في مقدمة كتابة (القرابة) الذي أشرف على تحريره مع "فورد" "P.ford" على أنها تنظيما اجتماعيا. يمكن الأفراد من العيش معا، والتعاون معا من أجل إقامة حياة اجتماعية منظمة وإن النظام هو جزء من شبكة العلاقات الاجتماعية تتجلى في

أصغر وحدة اجتماعية وهي العائلة النواة [11]. وتجدر الإشارة إلى أن اصطلاح القرابة في علم الأنتروبولوجيا والاجتماع لا يعني علاقات العائلة والزواج فقط وإنما يعني علاقات المصاهرة.

وتعرف علاقة القرابة على أنها الصلاة التي تقوم بين الأفراد إما على أساس الزواج أو من خلال رابطة الدم والنسل مثل (الأمهات والآباء، الأشقاء، والبنين وغيرهم).[12]

يعرف كل من "مارسيل موسى ورادكليف براون ومالينوفسكي" علاقات القرابة هي وسائل اجتماعية معدة للقيام بوظيفة اجتماعية ألا وهي تأمين التوازن الاجتماعي وتأصيل السلم بين الأفراد وتمتن التلاوم بين أعضاء المجموعة.[13]

بينما يذهب فريق آخر إلى تعريف للعلاقات القرابية بأنها تلك العلاقات المباشرة القانونية التي تنشأ بين شخصين نتيجة لانحدار أحدهما من صلب الآخر، كما ينحدر الحفيد مثلا من الجد عن طريق الأب أو نتيجة لانحدار الاثنان من سلف واحد مشترك كالعلاقة بين أبناء العمومة التي تُرد هي أيضا إلى الجد عن طريق الأعمام[14]، في حين يرى محجوب محمد عبده أن القرابة تتمثل بتلك الروابط التي تنشأ من الزواج والأبوة والأخوة التي تربط بين أعضاء العائلة النووية كل منها بالآخر، والتي تكون شبكة العلاقات التي تتولد عن الانحدار القرابي والمصاهرة، والعلاقات القرابية (فعلية حقيقية أو مزعومة أو مفترضة) ويمكن تتبعها بين الآباء والأبناء والإخوة، وهي علاقة مقررة معترف بها لأغراض اجتماعية معينة.[15]

من أهم مقومات العائلة الحضرية تلك العلاقات الاجتماعية التقليدية المدعمة بصلات القرابة الأولية منها أو الثانوية، والعلاقات الاجتماعية الأخرى بمختلف نظم الاتصال والتفاعل الموجود فيها.

أولا: أهمية العلاقات القرابية بالمجتمع:

إن العلاقة الوظيفية بين القرابة والفرد والقرابة والأسرة وكذلك علاقتها بالمجتمع تمكننا من استخلاص الأهمية البالغة للقرابة بالنسبة لهذه الثلاثية: الفرد والعائلة والمجتمع والتي نلمس من خلالها وجود نوع من التفاعل المتبادل بين القرابة في الأسرة والقرابة في المجتمع سواء كانت طبيعة هذا الأخير ريفية أو حضرية، حيث قالت "مارتن سيقلان" "M. Segalen" أن "...المؤرخون السوسيولوجيون والأنثروبولوجيون بدؤا إعادة اكتشاف أهمية القرابة" (16) ويعد هذا الاهتمام للبعد القرابي لمدى فاعليته في المجتمع. وتكمن القيمة الحقيقية للأقارب في مقدرتهم على أن يكونوا مصادر مكملة للأسرة النواة المنعزلة، لكون هذه الأخيرة تنتمي بيولوجيا واجتماعيا إلى هذه الجماعة الأولية المتسمة بالوحدة والتماسك، والتي يلتمس الفرد من خلالها إشباع مختلف حاجاته.

كما يكسبه هذا الانتماء أيضا الاحترام والقبول والمكانة الاجتماعية لكون مسألة الانتماء إلى نسب معين يلعب دور فعال في إعطاء قيمة اجتماعية للفرد داخل المجتمع ومنه تصبح القرابة بمختلف علاقاتها وانتماءاتها من أهم المواضع الحساسة في واقعنا وفي الكثير من المجتمعات ولاسيما المجتمع العربي الذي يعني النسب فيه "الانتماء إلى جماعة اجتماعية يستخدمها العربي المنتسب إليها كجماعة مرجعية للتماثل والتطابق في تفكيره أو تصرفه الاجتماعي مع فكر ومعتقدات أعضاء الجماعة التي تنطوي تحت نسبه، ويمثل النسب أيضا مسارا يربط الفرد بأحد مكونات المجتمع، والانتماء الاجتماعي والخلفية التاريخية لهذا المسار يحددان مكانة الفرد ووحداته الفردية داخل المجتمع.(17)

ويهتم كل رجل وامرأة اهتماما بالغا بمسألة وشؤون العائلة التي ينتمون إليها، وهذا الاهتمام يتجسد في نوعية العلاقات الغير رسمية والمتماسكة التي تربطهم ببقية أعضاء العائلة والجماعات القرابية، وطبيعة هذه العلاقات تجعله يشعر بالارتياح والطمأنينة، وبحمايته من العزلة الاجتماعية والأخطار الخارجية التي قد تهدد كيانه ومستقبله.(18)

فالفرد دائما يرى في أهله وأقاربه امتدادا لنفسه، ومنها تعد القرابة وسيلة للاندماج في جماعة الأهل والأقارب، فبدون روابط دموية أو مصاهرة يصعب على الفرد الدخول في علاقة مع العائلة، فقد يندمج الفرد كصديق، أو مع جار ولكن اندماجه لا يكون بنفس درجة القريب، وبذلك تكتسب العلاقات القرابية أهمية كبيرة ابتداء من العلاقة بين أعضاء الأسرة الواحدة لتمتد إلى غاية كل فروع شجرة العائلة وبدرجات قرابية متفاوتة.

حيث تفيد القرابة في تعريف هوية الفرد داخل وحداته القرابية ومكانته داخلها، أي تعريف الفرد بأصوله وفروعه، وكذلك أهم المبادئ والقيم التي يُعرف بها تبعا لوحداته القرابية ومكانتها لذلك، تقول مارتن سيقلان""هكذا تؤدي القرابة دور بطاقة الهوية وتعريف في العلاقة مع الآخر، وأعطت لنا مثل عن شاب جاء بزيارة عمته وهو لا يعرفها، ولكن بوصوله إلى مكان إقامتها وبتقديم نفسها على أنه ابن أخيها فإن العمة سمحت له بالدخول والمبيت عندها [19]، وهنا تكمن الأهمية البالغة للقرابة وعلى جميع الأصعدة السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية في المجتمع، وتحظى القرابة بهذه الأهمية وتصبح معترف بها في كل المجتمعات نظرا لما تؤديه من أدوار ووظائف مختلفة تعود على الجماعات القرابية خاصة والمجتمع عامة.

ثانيا: العلاقات القرابية للعائلة الحضرية:

إن العلاقات القرابية هي مجموعة روابط اجتماعية يعترف بها المجتمع تربط في النسق العائلي العالمي، إذ تشارك فيه جميع المجتمعات البشرية التي عرفتها الإنسانية[20]، والروابط القرابية تقسم إلى ثلاثة أنماط أساسية هي:

- الرباط البايولوجي: يعني العلاقة الدموية القائمة بين الآباء والأبناء والأجداد.
- رباط الزواج: الرباط الذي يعترف به اجتماعيا الذي يأتي عن طريق التبني.[21]

وبالاعتماد على قاعدة النسب يمكن أن نحدد العلاقة القرابية التي تربط الشخص بعائلته، فانحدار الابن من نسب أبيه يسمى النسب الأبوي، وانحدار الابن من نسب أمه يسمى النسب الأموي، وانحدار الابن من نسب أبيه وأمه في آن واحد يطلق عليه النسب المشترك، وقد ورد في القرآن الكريم ما يشير إلى أن الأب هو محور القرابة منذ نشأت الحياة الإنسانية، وتكون العلاقات القرابية قوية ومتماسكة في ظل العائلة التقليدية حيث على جميع أفراد العائلة الممتدة أن يعيشوا في بيت واحد وكل فرد من أفراد العائلة يعرف أقرباءه جانب أبيه وأمه ويقدم المساعدات ويدافع عنهم ويقف إلى جانبهم سواء كانوا على خطأ أو صواب، كما أن الجماعات القرابية تحبذ السكن في منطقة جغرافية واحدة وأن تكون البيوت ملاصقة ومجاورة بعضها للبعض الآخر، وهذا يساعد على التكاتف والتعاون فيما بينهم لإنجاز أعمالهم وكذلك لضمان الحماية والأمان.

كانت العلاقات القرابية للعائلة الحضرية في النصف الأول من القرن العشرين قوية ومتماسكة ومبنية على انحدار النسب إذ كانت العلاقات القرابية بين الأب وعائلته الأصلية وبين الأم وعائلتها الأصلية تتقدم على العلاقة العائلية الداخلية التي تربط الزوج بزوجته أو تربط الزوج بأبنائه أو تربط الزوجة بأبنائها أو بناتها [22]، وفي النصف الثاني من القرن العشرين نجد أن العلاقات القرابية قد اضمحلت لأسباب كثيرة منها البعد الجغرافي للسكن بين سكن العائلة النووية وسكن أقربائها، مع عامل تحول العائلة التاريخي من عائلة ممتدة إلى عائلة نووية تعيش في بيت مستقل بعيدا عن بيت أو بيوت الأقارب، ومنه تعرضت العلاقات القرابية واضمحلت في الأوساط الحضرية لتصبح العائلة النووية مستقلة اقتصاديا واجتماعيا عن الأقارب وخاصة في المدن الكبرى، ومن خلال ما سبق يمكن عرض أهم أنماط علاقات القرابة للعائلة الحضرية من خلال ثلاثة محاور:

أولا: العلاقة بين الزوج أو الأب وعائلته الأصلية:

نلاحظ في الوقت الحاضر بأن العلاقة التي تربط الأب بعائلته الأصلية بالوسط الحضري أقل فضعفت عما تعرفه الأسرة في المناطق الريفية ولقد حلت

محلها العلاقة التي تربط الزوج بزوجته، إذ أن هذه العلاقة أصبحت أقوى من علاقة الزوج بعائلته الأصلية أو الممتدة وذلك للأسباب التالية:

- البعد المكاني بين سكن الأب وعائلته النووية وبين سكن الأقارب.
- صلابة وتماسك العلاقة الاجتماعية بين الزوج وزوجته بسبب المساواة قد عززت العلاقة الإنسانية بين الزوج وزوجته، وهذا في ظل التجديدات التكنولوجية الدائمة أين أصبح للبناء القرابي في هذه الأواسط مفهوم آخر يتماشى وفقا للتغييرات التي طرأت على هذا المجتمع من جراء التحديث ولقد تعرض "لويس ورث" "Louis Wirth" من خلال مقاله الشهير بعنوان "الحضرية كأسلوب للحياة" التي نشرت سنة 1938 إلى أن "نمو المدينة وتنوعها يؤديان إلى إضعاف العلاقات الاجتماعية بين سكانها"[23]، وهذا ما يفسر ضعف العلاقات القرابية والأسرية في المجتمع الحضري.
- التشابه في الخبرة والتجارب بين الزوج والزوجة ساعد على توطيد العلاقة بينهما، حيث أن التشابه في المستويات الثقافية والعلمية وحتى في نوعية المهن التي يزاولانها، كما أن عمل الزوجة خارج البيت وكسب موارد العيش جعل الزوج يقوم بمساعدة زوجته بأداء بعض الأعمال المنزلية، والعلاقة بين الزوج وعائلته الأصلية قد تعرضت إلى الضعف والاضمحلال بالمدينة وهذا عائد لعدة أسباب كالفروق والاختلافات على المستوى الثقافي والعلمي كذلك قلة الزيارات أو انعدامها بين الزوج وعائلته الأصلية وذلك للتباعد المكاني في السكن وتعقد الحياة الحضرية وزيادة مطالبها.

وعلى الرغم من ذلك فإن أغلب الدراسات حول العائلة يؤكدون أن علاقات العائلة النووية العربية والجزائرية منها مع الأقارب من الدرجة الأولى أي عائلات التوجيه خاصة الوالدين هي علاقة قوية ومتواصلة بينما العلاقات مع

الأقارب الآخرين قد أصابها الضعف، ونتيجة لذلك تميل سناء الخولي إلى الإشارة للعائلة النووية العربية بمصطلح العائلة النووية غير منعزلة[24].

والاعتقاد الذي يرى أنه في حالة وجود مشكلة في العائلة النووية أو عند الأقارب، فإن المشكلة لا تحل من طرف العائلة بل إلى الدولة بمختلف مؤسساتها الخدماتية في التدخل بشؤون العائلة وهذه المساعدات التي تقدم للعوائل بعد ضعفها كالرعاية لكبار السن وكذلك الأطفال ومختلف الخدمات الصحية والاجتماعية الأخرى ولكن هذا الواقع هو أكثر انطباقا ووضوحا في المجتمعات الأوروبية والدول الصناعية المتقدمة ولا نجدها إلا على نطاق ضيق جدا في المجتمع العربي وكذلك الجزائري، وذلك بسبب الموروث الاجتماعي والقيم والعادات والتقاليد التي جاء الدين الإسلامي معززا لها فيما يخص العلاقة الإنسانية بين الآباء والأبناء، والآباء يحظون بمكانة سامية لدى الأبناء مبنية على الاحترام والحب والحنان طول حياتهم، إضافة إلى ذلك تأكيد الرعاية الخاصة لهم في كبر سنهم، وهذه الظاهرة ما هي إلا انعكاس لقيم دينية وثقافية مهمة في حياة الفرد العربي لأن القرآن الكريم وفي العديد من آياته يحث على بر الوالدين كما في قوله تعالى: {واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا} [25].

ثانيا: العلاقة بين الزوجة أو الأم وعائلتها الأصلية:

بسبب عوامل التحضر والتطبيع والتنمية الاقتصادية والاجتماعية تعرضت العلاقة القرابية التي تربط بين الأم بعائلتها الأصلية إلى الضعف نوعا ما مثلما تعرضت العلاقة بين الأب وأقاربه كما سبق عرضه، وفي ظل هذه الأوضاع أصبحت العلاقة بين الزوجين تتقدم على العلاقة بين الأم وأقاربها وهذا الضعف في العلاقة يعود لعدة عوامل كاختلاف المستويات الثقافية والعلمية والمهنية بين الأم ووالدتها وهذا التفاوت بينهما قد يكون سببا في ضعف العلاقة بينهما، كما يعد التباعد بين سكن الزوجة وسكن أقاربها من العوامل المؤثرة على طبيعة الزيارات وتقديم المساعدات والهدايا بينهما، ما أدى إلى التقليص في طبيعة علاقتها القرابية. وتوسع علاقات واتصالات الزوجة في مجتمعهما المحلي وبمختلف

مؤسساته البنيوية بسبب عملها وثقافتها ومستواها الاجتماعي ما أثر سلبا في مجرى العلاقة التي تربطها مع أقاربها.

وبالرغم من هذه الأسباب التي عرضناها تبقى العلاقة بين أفراد الأسرة النووية بأقاربها وخاصة القرابة الأولية والتي نعني بها العلاقة مع أقاربهم الأصليين وخاصة الوالدين متواصلة وثابتة رغم التغيرات وعملية التحديث التي تشهدها الأوساط الحضرية، وهذا ما أثبتته العديد من الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية الحديثة.

إن كل من رواسب القيم والمفاهيم التقليدية لها أثر فعال على طبيعة الحياة الحضرية مما جعل أهمية القرابة تتمثل بإرث اجتماعي ثابت وعميق في هذا المجتمع، وهذه القيم والمفاهيم تجسدت على شكل رقابة اجتماعية لازالت تعد عامل أساسي في ضبط التغيير والمحافظة على استمرارية الاتصال القرابي، "فالأسرة النووية هي مستقلة شكلا فقط في الأوساط الحضرية الجزائرية أما مضمونها فهي لا تملك المواصفات الفعلية التي تميز الأسرة النووية المستقلة حسب ما جاء في تعريف المنظرين لها، فهي غير حرة في الإبقاء أو عدم الإبقاء على تواصلها القرابي"[26].

كما يعد الدين الإسلامي المدعم الأساسي لتواصل الروابط القرابية بالأوساط الحضرية لأن الدين الإسلامي لم يخص أحدا بالعناية والتكريم كما خص الوالدين ولم يثبت لأحد من الحقوق على أحد كالحقوق التي ثبتها للوالدين على أبنائهم وكما كان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل جاء يسأله: "يا رسول الله من أبر؟ قال أمك، ثم من؟ قال أمك، ثم من؟ قال أمك، ثم من؟ قال أباك"، فالإسلام يطالب الأبناء بالإحسان إلى أبائهم وإن صدر منهما خطأ في حق الأبناء، وشدد على وجوب البر والإحسان، ولا ينتهي بر الأبناء لآبائهم في الحياة بل تستمر هذه الرابطة الوجدانية حتى بعد مماتهم.[27]

ثالثا: مظاهر تواصل علاقات القرابة بالوسط الحضري:

1. التجمع العائلي والعشائري:

بعد استقرار النازحين الريفيين في الوسط الحضري كان يجب عليهم أن يخلقوا نموذج جديد للدفاع إزاء الوسط الغريب عنهم والمتباين كثيرا، وتعتبر التجمعات السكانية التي ظهرت خاصة في ضواحي المدينة شكل جديد من التجاور بين الجماعات القرابية والعشائرية وفي نفس الحي بما أن الضمانات القديمة للدفاع عن الجماعة قد زالت، إن النازحين من نفس العرش يتجمعون في المناطق الحضرية ويعيدون تنظيم شبكة جديدة من العلاقات المدعمة بلهجة ثقافية، وعرقية مشتركة[28].

فهؤلاء النازحين المجردين فجأة من وسطهم الاجتماعي الضيق، الآمن لا يستطيعون أن يمزقوا أواصرهم بسهولة ببيئتهم القديمة وبأهلهم وبني قريتهم، بالتالي فإن النازح ينجذب نحو أقاربه أي إلى الجماعة القادمة من نفس عشيرته للسكن معهم وبقربهم، ويتعلق الأمر هنا مثلما يقول "أندري آدم" "André Adam" بإعادة تركيب بعض عناصر الثقافة الريفية، بحيث أن أغلب المنوغرافيات للأحياء تدل على أن تكرار التجمعات العائلية فيحدث أن المهاجرين من نفس الدوار أو من نفس القرية ينتقلون للسكن في حي أو منطقة عمرانية واحدة.[29]

إن العائلة الممتدة في المدينة تكون كسند يعتمد عليها كل ريفي يرغب في النزوح إليها، كما أن الانتماء إلى تجمع عائلي أو عشائري في المدينة، من جهته يضمن الأمن والتضامن والمساعدة للعائلة النازحة لكن من جهة أخرى يؤدي إلى نقل بعض عناصر الثقافة والقيم الريفية إلى الوسط الحضري وبالتالي دوام واستمرار الرواسب الريفية فيه، إن نفس التجمع الريفي يتشكل من جديد في المدينة مما يخلق في الأخير مجتمعا متشرنقا خاصا داخل مجتمع آخر [30]، وإن التجمعات السكانية المبنية على القرابة الدموية أو الانتماء إلى الجماعة الأصلية

تظهر فيها كل مظاهر التماسك والعلاقات القرابية والتضامن العائلي والجماعي أو القبلي، حيث يشارك فيه الجميع لفائدة عائلة واحدة.

إلا أن "بوتفنوشت" "Boutfanoucht M" أكد أن هذا التضامن الأسري، عندما يحدث فإنه يكون لصالح الفائدة الاقتصادية، وحسب اعتقاده فإن شكل جديد من الانتماء برز في المدينة، وهو الانتماء الاقتصادي وهذا يعني أن مجالات التضامن الاجتماعي قد تغيرت[31]، ويضيف أن هذه القبيلة التي تتشكل من جديد في المدينة ليست في حالتها الأصلية مثلما كانت في الريف، لأن هذا التجمع الريفي الذي يتشكل من جديد لعدم وجود الأحسن في رأي "بن عطية" يدوم في المدينة وأعضاؤه يواجهون تفكيكه فورا عندما يعرقله شيئا ما[32] إن المتحضرون الجدد في الجيل الأول "يظلون خاضعين للثقافة الريفية التي يكيفونها ويغيرونها، فالعلاقات القرابية التقليدية يحافظ عليها ولا تعرف إلا تغيرات جزئية.

بالتالي فرغم التشتت الجغرافي للمجموعات العرقية والجماعات القرابية فلا توجد قطيعة عامة للبنيات القرابية التقليدية ...، إن الانفصال عن الوسط الريفي ومواجهة الواقع الحضري الذي لا يقدره النازحين الجدد في تجدده يحدث تجمعات إما ذات قاعدة ريفية أو ذات قاعدة إثنية أكثر توسعا.[33]

ويمكن أن نستنتج أن التجمع العائلي والعشائري رغم تغير شكله وهدفه إلا أنه يعتبر دائما اتصال بين العائلات التي تظل خاضعة للثقافة الريفية حتى بزرع بعض جوانبها في البيئة الحضرية وكذلك تواصل العلاقات بين أفراد الجماعات الفردية بتأثير القيم الدينية وخاصة القرابة الأولية ما يعكس استمرارية علاقات القرابة بالوسط الحضري.

2. **الزيارات العائلية:**

تعتبر الزيارات المتبادلة بين الأقارب وسيلة ناجعة لتحقيق عدة أغراض مادية ومعنوية تؤدي إلى توطيد الروابط بينهم ودوامها، حيث أن عامل البعد أو

القرب عن العائلة بالنسبة لإقامة الأسرة لا أثر له في حالة دوام هذه الزيارات بينهم.

وتهدف هذه الأخيرة إلى اللقاء وجها لوجه معهم وتبادل أطراف الحديث فيما بينهم لمعرفة الأخبار الخاصة بهم والاطمئنان على أحوالهم الشخصية والإطلاع على المستجدات الخاصة بهم، فهذه الزيارات تكون متواصلة ومكثفة بين الأقارب وهذا بين الأبناء وآبائهم وإخوتهم ثم تليها الزيارات مع الأعمال والأخوال وأبنائهم، وتليها بدرجة أقل مع غيرهم من الأقارب، زيادة إلى المكالمات الهاتفية التي تدعم هذه الزيارات من خلال الأخبار المتداولة بين الأقارب[34]، وأساس هذه الزيارات المكثفة بين الأبناء وآبائهم هو الاحترام والواجب اتجاههم وخاصة أن الأبوين في مرحلة عمرية حساسة وهم بحاجة إلى رعاية صحية خاصة واهتمام متواصل.

أما فيما يتعلق بالزيارات المتبادلة بين الأبناء نجدها في بعض الأحيان أكثر تواصلا بالمقارنة مع الأبوين، وهذا راجع للتقارب العمري بينهم[35]، أو لقوة العواطف والحنان الراسخة بينهم، ومنه تسمح هذه الزيارات المتبادلة بينهم بتوفير الجو العائلي المناسب لإحياء التجمعات العائلية التي كانت سائدة قبل استقلالهم عن المسكن العائلي وبها يتخلصون عن الاشتياق والإحساس بالعزلة خاصة بالأوساط الحضرية، أما الزيارات مع الأقارب الغير مباشرين كالأعمام والأخوال وأبنائهم في العادة تكون خلال المناسبات والاحتفالات الاجتماعية كالأعياد والأعراس ومناسبات النجاح أو مرض أو حالة وفاة، الأسرة لا تتأخر عن تهنئة أو مواساة أقاربها فهي تقف سند لأقاربها في السراء والضراء مما يبرز تمسك الأسرة لأقاربها القريبين منهم وبمختلف الأوساط.

3. تقديم المساعدات وتبادل المصالح والخدمات:

تنتشر أنواع المساعدات بين الأقارب بوجه عام، ذلك لأن الفرد مهما استطاع أن يحقق منزلة اجتماعية كبيرة ومهما كانت ظروفه المادية فإنه لا يستطيع

العيش بعزلة عن أهله وأقاربه فهو يتلقى المساعدات المعنوية والتي تتخذ أشكالا متعددة كرعاية المريض وواجب العناية به خاصة اتجاه الأقارب المباشرين منهم ورعاية الأطفال وكذا المساعدات في مناسبات الأعراس والمآتم، إضافة إلى تقديم النصح والمشورة والتضامن بينهم عند حدوث أزمات عويصة، أما المساعدات المادية فهي على الأغلب تكون بين الأب وأبنائه أو العكس وفي بعض الحالات تكون اتجاه الأقارب الغير مباشرين في بعض الأزمات في تفادي تدخل الغرباء، وكذلك مساعدة الأقارب المحتاجين البعيدين مجاليا والقريبين في المناسبات كالأعياد والأعراس وخاصة في حالات المرض والوفاة، وبذلك فإن الأقارب يعتمدون على بعضهم البعض في إطار هذا الجانب ويعتبرونه شيء طبيعي بحكم ضرورة المحافظة على الحقوق والواجبات والالتزامات القائمة بينهم.

4. الزواج بين الأقارب:

يعود تفضيل العائلة للزواج بين الأقارب (الزواج الداخلي) لتحقيق بعض الأهداف المرجوة منه وهذا النوع من الزواج يقوم بوظيفة بنائية جد هامة داخل النسب القرابي ويكثف الروابط بين الوحدات القرابية، بالإضافة إلى وظائف أخرى اقتصادية وسياسية من خلالها يدعم النسق القرابي بطريقة غير مباشرة[36]، كما تقول "كلودين شولي" "ابن يتزوج ليس معناه رجل يستقر، إنما عائلة أبيه هي التي تتطور على حساب مصادرها المادية والاجتماعية الخاصة، وهذا بإعادة إنتاج ميراثها الخاص من العلاقات والتقاليد، وحيويتها الخاصة[37]، وعليه يكون الزواج بالأقارب في أغلب الأحيان أمر عائلي أكثر منه أمر فردي لأنه يتم وفق ما تقتضيه المصالح والطموحات العائلية والقرابية المشتركة التي تمتثل إلى العادات والتقاليد المتوارثة، ومنه يصبح الزواج بالأقارب من أهم العوامل التي تزيد في كثافة الروابط القرابية بين وحداتها ويزيد في قيمته وحدتها والمحافظة على مكانتها بالمجتمع ويعززها.

5. **العلاقة مع الوسط الأصلي:**

إن الحفاظ على العلاقات مع الوسط الأصلي قد تكون لأطول مدة ممكنة بعد الاستقرار في المدينة لأن النازحين لا يتمكنون من قطع صلاتهم مرة واحدة فهُم يستمرون في تبادل الزيارات مع الأقارب المقيمين في الريف كما يحافظون على ممتلكاتهم ويمارسون بعض النشاطات التقليدية، وهذا كله يعتبر بمثابة مؤثرات عن عدم انسلاخ المتحضرين الجدد عن وسطهم الأصلي وعدم انفصالهم وتخليهم عن العادات والتقاليد الريفية حيث وضح "برينانت M A Prenant" أن المتحضرين الجدد ذوي الأصل الريفي يعملون في المدينة على استمرار العلاقات العائلية الاقتصادية والاجتماعية وهي تمثل علاقة بشرية بين العالم الحضري والريفي والدليل عن ذلك وجود فلاحين في المدينة. ويقول "بن عطية" في هذا أن الريفي يصل إلى المدينة في موقفين: فهو يأتي إلى المدينة في إطار اقتصادي محدد جدا في انتظار غير مخطط لاندماج اقتصادي اجتماعي في المدينة، إنه يأتي للمدينة بجلبه معه كل العلاقات العائلية الاقتصادية والاجتماعية التي تربطه بأصله الريفي، ويبقى محافظا عليها.[38]

الخاتمــة:

إن العلاقات القرابية للأسر في الوسط الحضري لا تزال قائمة بالرغم من التغيرات التي صاحبت عملية التحضر، حيث أصبحت طبيعة العلاقات الاجتماعية بالمدينة الجزائرية تتسم بازدواجية بين التقليد، والتغيير، فالأولى تتمثل في الحفاظ على العلاقات الاجتماعية التقليدية القرابية، والثانية إقامة علاقات جديدة خارج القرابة، فالتغيرات الجديدة التي عرفتها الأسرة الحضرية هي تركيبية، وبنيوية، أي تغييرها من نمط الأسرة الممتدة إلى نمط الأسرة النووية، بينما طبيعة علاقاتها الاجتماعية فأغلبها منحصرة مع جماعاتها القرابية سواء داخل المدينة أو المنطقة الأصلية لها، بمعنى أن الأسرة الحضرية الجزائرية هي في أغلبها نووية في بنيتها وممتدة في وظيفتها وعلاقاتها.

❖ **هوامـــش البحث:**

(1) محمد بوخلوف: **نمط الأسرة الجزائرية ومحدداته**، دراسة إحصائية وتحليل نظري، بحث مقدم للملتقى الوطني الثالث لقسم علم الاجتماع حول: التغيرات الاجتماعيـة والـتغيرات الأسرية، الجزائر، 2004، ص27.

(2) Guetta, M, **Urbanisation et Structures Familiales**, Revue Francaise de Sociologie, 1991, P579.

(3) وسام العثمان: **التحضر وواقع المدينة العربية**، دراسات في المجتمع العربـي المعاصـر، تحريـر خضر زكرياء، دار الأهالي، دمشق، 1999، ص186.

(4) حنان عبد الحميد العناني: **الطفل والأسرة والمجتمع**، دار الصفاء للنشـر والتوزيـع، 2000، ص56.

(5) عبد القادر القصير: **الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية**، دار النهضـة العربيـة، بـيروت، 1999، ص33-34.

(6) Henri Mendras**: Les éléments de sociologie**, Armand Collin, 1955, P155.

(7) ميشيل دينكين: معجم علم الاجتماع، ترجمة محمد حسن إحسان، ط1، دار الطليعـة للنشـر، بيروت، 1981، ص98.

(8) Haward P Chudacoff**: l'urbanisation a la measurede la société**, Nouveaux Aorisons, 1977, P11.

(9) Remy Jean**: la ville et l'urbumisation**, Geamlaux, Edition Du Culot, 1974, P234

(10) بوجلى صالح الـزاوي: علـم الإجتمـاع الحضـري، منشـورات جامعـة قـازيوس، بنغـازي، 2002، ص25.

(11) Radaliff Brown A: **Structur And Function In The Primitivesoci-ety**, The Free Press, Glencoe, 1952, P03.

(12) انتوني غندر، كادين بيردسال: **علم الإجتماع**، ترجمـة الـدكتور فـايز الصـباغ، ط2، مركـز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005، ص 254.

(13) محمد بن أحمودة: **الأنثروبولوجيا البنيوية أو حق الاختلاف**، من خلال أبحاث كلـود ليفـي ستروس، ط1، دار محمد علي الحامي، صفاقس، 1987، ص70.

(14) أبو زيد أحمد، مرجع سابق، ص309.

(15) محجوب محمد عبده: **القرابة والبناء الاجتماعي**، دار المعرفـة الجامعيـة، دت، الإسـكندرية، ص40.

(16) Segalen Martine: **Sociologie de la famille**, Armand colin, Edition, Paris, 1981, P69.

(17) معنى خليل عمر: **علم اجتماع الأسـرة**، دار الشـروق للتوزيـع والنشـر، الأردن، 1994، ص155.

(18) إحسان محمد الحسن: **المدخل إلى علم الاجتماع**، دار الطليعة للنشر، بيروت، 1988، ص 125.

(19) Segalen Martine: Op, Cit, P86.

(20) علياء شكري: **الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة**، دار المعرفة الجامعيـة، الإسـكندرية، 1988، ص59.

(21) Segalen Martine: Op, Cit, P69.

(22) الوردي علي: **دراسة في طبيعة المجتمع العراقي**، مطبعة العاني، بغداد، ب ت، ص271.

(23) Eyves Grafmeyer et Isaac Joseph (Présentation): l'école de chicago, Naissance de l'écologie Urbaine, Aubier, 1998, PP257-258.

(24) سناء الخولي: **الأسـرة في عـالم مـتغير**، الهيئـة المصـرية العامـة للكتـاب، القـاهرة، 1974، ص207.

(25) القرآن الكريم: سورة النساء، الآية36.

(26) رشيد حمدوش: **الأسرة وعملية التواصل الاجتماعي، محاولة لتحديد مفهوم الأسرة، سلسلة الوصل**، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزء الأول، العـدد2، جامعـة الجزائـر، 2006، ص 283.

(27) تأليف ونشر مؤسسة البلاغ: **الأسرة المسلمة**، سلسلة كتيبات، 1999، ص102.

(28) JAM Chid B et Bouraoui S: Le Défi Destradition Familles musulimans et modarnité, Paris Publiseid,1986, P119.

(29) ADAM A: Casablanca, Essai sur La Trasformation de la société marocaine au contact de l'occident, Tomes1-2, éd du CWRS, Paris, 1972, P220.

(30) Breese G: Urbanisation et tradition, Les éditions internationales, Tendances Actuelles, Paris,1969, P127.

(31) Boutefnoucht M: système et changement social en Algérie, OPU, Alger, 1985, P31-33.

(32) Ibid, P85.

(33) GIBBAL J M: citadins et villageais dans la ville africaine, l'exemple d'Aabidjam, Grenoble PUF Maspero, 1974, P16.

(34) Segalen (m): OP, Cit, P78.

(35) Agnès Pitrow: Les Solidarités Familiales, Vivre sans Famille, Edition Privat, Toulouse, 1992, P25.

(36) محمد الدين عمر خيري: **العائلة والقرابة في المجتمع العربي**، دراسات في المجتمـع العربـي، الطبعة الأولى، اتحاد الجامعة العربية، الأردن، 1985، ص188.

(37) Claudine Chautet: La terre, Les Frères et L'argent, OPU, Tome 01, Alger,1987, P208.

(38) Benatia (F): Alger Agrégat ou cite, l'intégration citadine à Alger, SNED, Alger,1980, P96.